التلاقح العسكري بين الأندلس وبلاد المغرب خلال عصر المرابطين (448_541هـ/1056_1147م)

الدكتور عبد الكريم طهير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

abdelkrimtahir@yahoo.fr

ملخص: إنّ اشتراك جيش بلاد المغرب والأندلس في معارك واحدة ضدّ عدو نصراني واحد بالأندلس، دفع بالمرابطين إلى إنشاء جيش موّحد. ونتيجة لذلك تمت المزاوجة بين الأسلحة الأندلسية وأسلحة بلاد المغرب، بعدما اكتشف كلّ طرف منهما ما يمتلكه من قدرات عسكرية، وفنون قتالية، بحيث تمّ خلق جيش يزاوج بين أساليب البربر في القتال، وطرق الأندلسيين في المعركة، فانعكس ذلك على سير المعارك التي تحقق فيها النّصر في كثير من الأحيان، وبذلك تم التلاقح العسكري بين التجربة القتالية الأندلسية وصلابة البربر في القتال.

الكلمات الدّالة: الهجرات البربرية، بلاد المغرب، الأندلس، المرابطون، الاندماج العسكري

Abstract: The participation of an army of the Maghreb and Andalusia in common battles against a Christian enemy in Andalusia forces the Almoravides to create a unified army. As a result, the combination was done between the Andalusian and Maghreb weapons, after each party discovered what possessed as military capabilities and fighting arts. So, an army which mix between Berber methods in fighting and Andalusian way in battle was created, and that reflected in the conduct of battles which very often ended in victory, and hence, a military blending was made between the Andalusian experience and Berber hardness in fighting.

Key words : Berber migrations - Maghreb city - Andalusia - Almoravides - Military blending

تقديم:

ركزت الأبحاث التاريخية التي تناولت تاريخ الهجرة بين المغرب والأندلس على الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب، وما تركته من آثار، وفي المقابل فإنّ هذه الأبحاث لم تسلط الضوء بشكل كاف على توافد أهل المغرب إلى بلاد الأندلس وما يمكن أن ينتج عنه من نقل سلوكات مغربية مختلفة إلى بلاد الأندلس، فقد كانت هجرات البربر باتجاه الأندلس منذ الفتح الإسلامي سنة 92ه/711م واستمرت إلى غاية نهاية الوجود الاسلامي هناك.

يمثل العصر المرابطي(448-541ه/1056-1147م) أهم فترة تاريخية لهجرات البربر باتجاه الأندلس، حيث تمّ تجنيد عدد كبير من قبائل المغرب الإسلامي بغرض الجهاد، ومؤازرة الأندلسيين ضدّ الخطر النّصراني. إنّ عبور الجيوش المرابطية إلى الأندلس برسم الجهاد قد فرض عليهم واقعا عسكريا جديدا لم يكن إدراكه بالأمر السهل، فقد خاضوا معارك كبرى ضدّ النّصارى، كان أهمّها على الإطلاق معركة الزلاقة سنة 479 ه/1086م، حيث أنّ خوض هذه المعارك اقتضى منهم توحيد مجهودهم الحربي مع الأندلسيين، خاصّة وأنّهم أصبحوا يواجهون عدوّا في أرض يجهلونها، فكيف سينعكس ذلك على التلاقح العسكري بين الأندلس وبلاد المغرب.

1) هجرات البربر إلى الأندلس قبل ظهور المرابطين

ترتبط هجرات البربر إلى الأندلس بالفتح الإسلامي، فقد كان للبربر دور مهم وكبير في عمليّة الفتح، حيث شكّلوا غالبية جند الحملة التي قادها طارق بن زياد، والتي بلغ عدد رجالها عشرة ألاف ألاف رجل (ابن خلدون، ع. 2001: 150)، وما سمع النّاس من أهل برّ العدوة بخبر ذلك الفتح العجيب حتى لحقوا بطارق وأقبلوا نحوه من كلّ جهة، حيث دخلت أعداد أخرى من بربر بلاد المغرب للاستقرار في هذه البلاد الغنيّة (السيد عبد العزيز، س. د ت: 122)، كما عبرت كثير من قبائل البربر في موجات متعاقبة طوال عصر الولاة،

واستقرت ببلاد الأندلس، وغدت تكوّن عنصرا نشيطا في الحياة الأندلسية، وكان لها الفضل الأكبر في درء الخطر عن المسلمين في الأندلس زمنا طويلا، فوضعت بذلك أساس وحدة بشرية وثيقة الصلة مع بلاد المغرب والأندلس (فيلالي، ع .1999م: 39)، ومثلت البدايات الأولى لعملية التّمازج والانصهار بين الفاتحين والسكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الأندلس قبل الفتح (بن داود، س. 1999: 109-110).

وفي عصر الإمارة بالأندلس اعتمد الأمراء الأمويون على البربر في تكوين جيوشهم فتدفقت أعداد كثيرة منهم إلى الأندلس (عنان، م. 1997: 687)، وكان لهم أكبر الأثر في الحروب التي خاضها الأمراء ضدّ نصارى الشمال وفي إخماد الفتن والثورات الدّاخلية (ابن حيان. د ت: 121-122)، وظلّت بلاد المغرب تمدّ الأندلس بأعداد هائلة من البربر إذ نجد حكامها الأندلسيين وخصوصا الخلفاء الأمويين يستكثرون من بربر العدوة المغربية ويعتمدون عليهم في جيوشهم، فبرغم توّجه الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر(300-350ه/912-961م) إلى سياسة جديدة تقوم على عدم الإعتماد على البربر في تكوين الجيش (ابن عذارى، م. 1983: 85-87)، إلاّ أنّ ابنه الحكم المستنصر(350ه-366ه/965-976م) سرعان ما عدل عن ذلك واستخدم أعدادا كبيرة من البربر (ابن حيان. د ت: 90- 95)، لما أبدوه من براعة في الحروب التي خاضها الحكم المستنصر في بلاد المغرب ضدّ الفاطميين، وخاصّة حرب الأمويين ضدّ الثائر الحسن بن كنون (ابن أبي زرع. 1972: 91).

دفعت الظروف السياسية الناتجة عن الصراع بين الأمويين والفاطميين بالكثير من البربر للهجرة بحثا عن الأمن وكانت الأندلس وجهة بعضهم (السلاوي، ن. 1954: 16)، خاصّة عقب انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 358ه/969م، وذلك بسبب الصراع الذي كان دائرا بين قبائل صنهاجة الموالية للفاطميين وقبائل زناتة الموالية للأمويين (ابن حيان. د ت: 192، 195)، ففي سنة 360ه/970م التحق وفد قبيلة بني برزال بالأندلس (البكري. د ت: 59) (ابن حيان. د ت: 182)، وكانوا موالين للفاطميين إلى أن خرج حاكمهم جعفر بن علي بن حمدون حاكم منطقة مسيلة (ابن الخطيب. 1956: 66، 67)(ابن خلكان. د ت: 360) (ابن خلدون، ع. 2000: 108- 109) عن الفاطميين، وبعد انهزام بني حمدون أمام الفاطميين

والصنهاجيين طلبوا العبور إلى الأندلس، فأذن لهم الحكم المستنصر بذلك واستخدمهم في جنده (ابن عذارى، م. 1983: 268) (ابن حزم، 1982: 499)، لتتلوا هذه الهجرة هجرات أخرى منها تلك التي حدثت في أواخر عهد الحكم المستنصر من طرف قبائل بني دمر الزناتية (ابن حزم. 1982: 499)، وهم رجالات حرب ضمّهم السلطان إلى عسكره.

لم يكن الحكم المستنصر المتوفى سنة 366ه/976م الوحيد الذي اعتمد على البربر فقد اتّبعه في ذلك الحاجب المنصور بن أبي عامر(371-392ه/981-1002م) الذي اعتمد عليهم في تدعيم الجيش الأندلسي، واستجلب أعدادا كبيرة منهم (عنان، م. 1997: 688) (ابن خلدون، ع. 2000: 179-180)، للاستعانة بهم على تمكين نفسه من أمور الخلافة وتوطيد سلطانه (فيلالي، ع. 1999م: 225)"واستدعى من أهل العدوة من رجال زناتة البربر فرتّب منهم جندا، واصطنع أولياء وعرّف عرفاء من صنهاجة، ومغراوة، وبني يفرن، وبني برزال، ومكناسة، وغيرهم" (ابن خلدون، ع. 2000: 189)، ثمّ تلتها هجرة بني يفرن سنة 382ه/992م، وجاء منهم جمع عظيم حلّ على المنصور حيث ضمّهم إلى جيشه، (مؤلف مجهول. 2005: 115-116)، وفي سنة 391ه/1001م هاجرت أهم قبائل بلاد المغرب إلى الأندلس، تمثلت في قبيلة صنهاجة، حيث انتقل قسم كبير منها إلى هناك وهم بنو زيري (ابن الخطيب. 1973: 521) (ابن سعيد. 1980: 106)، وكان ذلك بعد انهزامهم أمام حمّاد بن بلقين مؤسس الدّولة الحمادية، حيث نزل على المنصور بالأندلس زاوي بن زيري وبنيه وبنو أخيه ماكسن وحاشيته، فأكرمهم وضمّ رجالات منهم إلى عساكره (بلكين. د ت: 17).

أصبح البربر بعد ذلك يشكلون قوّة هائلة (عنان، م. 1997: 688)، حتّى إذا أفل نجم العامريين بالأندلس ثارت أحقاد دفينة بين الأندلسيين والبربر (دندش، عصمت عبد اللطيف. 1988: 260)، حيث جرت أحداث دامية بين الطرفين اصطلح عليها بالفتنة البربرية الثانية (ابن عذارى، م. 1983: 59- 113)، ثمّ تلتها فترة اضطراب سياسي عرفت بعصر ملوك الطوائف، أين تمكن البربر من تكوين إمارات بربرية مستقلة لهم بالأندلس، وانفصلوا بإدارة أقاليم بأكملها (عبد الواحد، م، 1963: 50) (بلكين. د ت: 21- 25) (مريم قاسم، ط. 1994: 74، 104)، ولا تورد المصادر أي إشارة ما إذا كانت هناك هجرات جماعية بربرية أخرى

قد تدفقت من المغرب نحو الأندلس خلال هذه الفترة، ولعلّ موقف الأندلسيين السلبي تجاه البربر قد حال دون وجود هجرات جماعية في هذا الظرف المضطرب (فراد، م. 1991: 213- 254) (حمدي عبد المنعم، ح. 1990: 19-88).

إنّ هذه الفترة التّاريخية التي سبقت ظهور المرابطين على مسرح الأحداث في المغرب والأندلس تمثل مرحلة بارزة لنزوح البربر نحو الأندلس، وكانت هذه الهجرات مرتبطة بالظروف السياسة والاقتصادية والإجتماعية والمذهبية السائدة في كلّ من المغرب والأندلس، غير أنّ الملفت للانتباه أنّ هذه الهجرة ارتبطت بشكل كبير بحاجة حكام الأندلس إلى البربر كمقاتلين أشداء، كما أنّه من الواضح أنّ حركة الهجرة هاته كانت بتأثير وتوجيه من الأندلس بكل مكوّناته السياسية والعقائدية، ولم ترتبط بدولة مغربية قائدة، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى طرح تساؤل منطقي حول تأثير ظهور المرابطين على الهجرة الجهادية بعدما حملوا لواء عقيدة إصلاحية تقوم على توحيد العدوتين ودرء الخطر النصراني بالأندلس.

2) تعمير المرابطين للأندلس

خلال الحقبة المرابطية تمّ تجنيد عدد كبير من قبائل المغرب الإسلامي بغرض الجهاد، فقد "تمّ فتح باب التّطوع، فكثرت أعداد المتطوعة "(ابن القطان. د ت: 13)، وفي هذا الصدد يذكر- ابن أبي زرع أن عدد الجيش المرابطي بلغ سنة 455ه/ 1062م إلى مائة ألف فارس من دون المشاة (ابن أبي زرع. 1972م: 138-139)، بل أنّ يوسف بن تاشفين قد أشرك القبائل المغربية المهزومة من المصامدة وزناتة (بن عبد الله، ع. 1963م، ص 347)، إضافة إلى عناصر أخرى ممّن تم استجلابهم (عبد الواحد المراكشي. 1963م: 191) (ابن أبي زرع. 1972م: 146) (السلاوي. 1954: 31)، وبعد ضمّ المرابطين للأندلس وصلت الهجرة الصّنهاجية أوّجها، إذ انتقلت القبائل الصّنهاجية مع الحملات العسكرية، واستقرت فيها (بوتشيش، ق. 2006: 23).

وقد سار خلفاء يوسف على نهجه من استكثار الجند البربر بالأندلس، منهم ابنه علي الذي قلّدهم الأسلحة وأوسع عليهم الأرزاق، واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام هممهم،

وعني بالغزو ومباشرة الحرب (ابن عذارى، م. 1983م: 48)، وذلك عملا بوصية أبيه إذ كان من جملة الشروط التي اشترطها عليه والده لولاية عهده أن يركب سبعة عشر ألف فارس (مؤلف مجهول. 1979م: 80).

بدخول المربطين إلى الأندلس تعزز عنصر البربر الموجود به، والذي كان منتشرا في المدن والأقاليم (دندش، ع. 1988م: 261)، ويبدوا أنّ قبائل الملثمين كانوا يعيشون بمعزل عن المجتمع الأندلسي، إذ كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم، كما أنّ أغلبهم من الطبقة العسكرية خشنة الطّباع "لا عهد لها بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش، إنّما هم أحدهم فرس يروضه، ويستفرهه، أو سلاح يستجيده أو ضريح يلبي دعوته" (عبد الواحد المراكشي. 1963م: 226) (دندش، ع. 1988م: 261).

يضاف إلى هذا مجموع البربر الذي دخل الأندلس برسم الجهاد خلال هذه الفترة مجموع آخر، جاء انتقالهم عبر هجرتين متباعدتين الأولى حدثت سنة 515ه/1121م نحو قرطبة يبدوا أنّها أحدثت مشكلا اجتماعيا سكتت المصادر التاريخية عن ذكره، وأهم الإشارات وردت في نوازل ابن رشد، إذ ورد أنّ سكان قرطبة استفتوا الفقيه ابن رشد حول بربر العدوة القادمين عليهم في جموع سنة 515ه (بوتشيش، ق، 2006م: 35).

والمعلوم أنّ هذه الهجرة جاءت مباشرة بعد بداية حركة المهدي بن تومرت في المغرب، وثورة العامّة في قرطبة ضدّ المرابطين سنة 514ه/1120م (البيدق. د ت: 35) (مؤلف مجهول. 1979م: 86-87)، أمّا الهجرة الثانية فقد حدثت سنة 535ه/1140م وتميزت بكثافة عدد المهاجرين، وكانت حسب وصف ابن عذارى "انجلاءً عظيما إلى الأندلس"(ابن عذارى، م. 1983: 98)(بوتشيش، ق. 2006م : 35) كما أنّ كثرة المجاعات التي شهدتها بلاد المغرب عامّة أواخر عصر المرابطين كانت سببا وراء جعل هذه الجموع البربرية تيمم وجهها شطر الأندلس، إضافة إلى الزحف الموحدي الذي وصل في تلك السنة إلى شمال المغرب (بولقطيب. 2002: 46).

3) التعاون العسكري بين الجيش الأندلسي والجيش المرابطي

كانت صلة بلاد المغرب والأندلس وثيقة لدرجة أنّ البلدين كانا يسميان بالعدوتين، عدوة المغرب وعدوة الأندلس، كما كوّن البلدان دولة موّحدة أيّام الدولة المرابطية، (الكتاني. 2005: 389)، وقد كان للجيش دور مهم في تحقيق هذه الوحدة، فقد خاض الجيش المرابطي معارك طويلة كي يصل إلى الأندلس بدءا بمعارك الجنوب إلى معارك المغرب الأقصى والأوسط، ثم العبور إلى الأندلس ومواجهة النصارى، والقضاء على ملوك الطوائف ثم الوثوب هناك من أجل تحدي النّصارى، وإذا كان المرابطون على دراية تامّة بأحوال بلاد المغرب ومتمكنين من أسباب النّصر هناك، فإنّ عبورهم إلى الأندلس قد فرض عليهم واقعا جديدا لم يكن إدراكه بالأمر السهل لولا تعاونهم العسكري مع الأندلسيين الذين تقاسموا معهم الخبرات.

1.3) تكوين الجيش المرابطي

يعود الفضل في تأسيس الجيش المرابطي إلى عبد الله بن ياسين الداعية الروحي للمرابطين، وذلك حينما ابتنى رباطا للعبادة (ابن أبي زرع. 1972م: 125) (السلاوي، ن. 1954: 8)، لإعداد مريديه إعدادا تربويا دينيا سليما، ونهج بهم منهجا سلوكيا قائما على العلم والجهاد في سبيل الله، وقد بدأ الجيش بسبعة نفر من قبيلة "جدالة" ونفر واحد من "لمتونة" وهو"يحي بن عمر اللّمتوني" صحبة فقيههم عبد الله بن ياسين (زغروت، ف. 2005: 59)، ولم يكد يمضي عليه بضعة أشهر حتّى أقبل النّاس على رباطه (ابن أبي زرع. 1972م: 125) واجتمع له نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، سمّاهم بالمرابطين لملازمتهم لذلك الرّباط (ابن أبي زرع. 1972م: 125) (عنان، م. 1997: 302)، حيث تلّقوا فيه تكوينهم الروحي والحربي (زغروت، ف. 2005: 59).

ومن الواضح أنّ عبد الله بن ياسين كان يهيئ المرابطين لهدف عظيم كان يسعى إلى تحقيقه، وهو توحيد الملّثمين تحت لوائه (حسن أحمد محمود. د ت: 141)، وبالتّالي

التّأسيس لقوّة عسكرية مهيكلة (زغروت، ف. 2005: 60-61)، حيث قسّم هذه القوّة إلى عشرات أو خمسات، وعيّن على كلّ عشرة منها عريفا أو نقيبا يكون أميرا لها ومسؤولا عنها سواءً في حياة الرباط أو في تبليغ الدّعوة إلى الأهل والعشائر، وقد اختار لهذه المجاميع قائدا عسكريا سياسيا هو يحي بن إبراهيم الجدالي زعيم جدالة (زغروت، ف. 2005: 60)، ثمّ من بعده يحي بن عمر اللّمتوني ثمّ خلفه أبو بكر بن عمر اللّمتوني، وكانت مهمّة هؤلاء القوّاد قيادة هذه الجماعات في الحروب بينما تفرغ "ابن ياسين" للتوجيه الديني ونشر الدّعوة بنفسه (زغروت، ف. 2005: 60-61).

أمّا عن فن القتال الذي عرفه المرابطون في هذه المرحلة، فكان يتماشى مع تقاليد الملّثمين في خوض المعارك، حيث كانوا يعتمدون على صنفين من المقاتلة: الرّجالة، والأبّالة (حسن أحمد محمود. د ت: 386)، وقد وصف لنا البكري المعاصر للمرابطين طرق قتال الملّثمين، ونقل بعضها صاحب الحلل فقال: "وهم يقاتلون على الخيل والنجب" (البكري. د ت: 166)، "وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل" (مؤلف مجهول. 1979م: 22) "وكان أكثر قتالهم رجالة صفوفا، بأيدي الصف الأوّل القنا الطويل، وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدّة يزرقها فلا يكاد يخطى ولايشوى ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية، فهم يقفون ما وقفت منتصبة وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعا فكانوا أثبت من الهضاب ومن فرّ أمامهم لم يتبعوه" (البكري. د ت: 166)"، ويدّل ذلك على وجود تنظيم عسكري دقيق يعتمد على ترتيب مسبق، ومهارة في استخدام الأسلحة، وسرعة في تنفيذ المهام العسكرية.

كانت مرحلة عبد الله بن ياسين مهمّة جدّا بالنسبة للمرابطين فهو صاحب الفضل في بعث تلك الروح الكبيرة في المرابطين التي تلاءمت مع شدّتهم في القتال، فقد أصبح هؤلاء الملّثمين يقاتلون من أجل هدف أسمى (حسن أحمد محمود. د ت: 375-376)، وقد ظهرت هاته الروح جليّة عندما قالوا لعبد الله بن ياسين :"أيّها الشيخ المبارك مُرنا بما شئت تجدنا سامعين طائعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا" (ابن أبي زرع. 1972م: 125). لكنّ

هذه المرحلة ستنتهي بوفاة ابن عبد الله بن ياسين، وكانت الفترة التالية أكثر أهميّة من النّاحية العسكرية ذلك أنّها كانت بحاجة إلى قائد عسكري محنك، وشاءت الظروف التي مرّت بها الدّولة المرابطية أن يتولّى القيادة السياسية والعسكرية للمرابطين، رجل سيكون له أكبر الأثر في تاريخ المرابطين العسكري، إنّه يوسف بن تاشفين الذي أوكلت إليه مهمة استكمال فتح المغرب الأقصى، فكان على مستوى المسؤولية، واستطاع في بضعة سنين أن يتّغلب على معظم نواحي المغرب الجنوبية الوسطى والشمالية.

باستلام يوسف بن تاشفين الأمر في المغرب، نجد قيادة جديدة لا تختلف عن القديمة إنّما هي استمرار لها ومستوحاة من مصدر واحد موصول بالإرث الذي خلّفه عبد الله بن ياسين. فيوسف بن تاشفين قائد من نمط صحراوي كامل مالكي شديد التّدين والتّقشف (سعدون عباس، ن. 1985م: 41) استطاع أن يقود قبائل الملّثمين لتحمّل فتح المغرب بمجهودهم الخاص (حسن أحمد محمود. د ت: 377)، ولم يكن الأمر ليتم دون الإقدام على تنظيم قوى المرابطين الذين بلغ تعداد جيشهم عند فتح فاس مئة ألف مقاتل (سعدون عباسن. 1985م: 169)، بعد تغلبهم على معظم قبائل المغرب، وهذا يدّل على أهميّة هذا الجيش، وقيمة تنظيمه، وتطويره، فقد قسّمه يوسف بن تاشفين إلى فرق، وخصص لكلّ فرقة سلاحا خاصّا، وكوّن بالخصوص فرقة من الفرسان من الخيّالة الزناتيين (حسن أحمد محمود. د ت: 382) (المريني، ع. 1997: 25)كما أنشأ فرقا من المشاة والرماة والأغزاز والسهام والنّشاب (سعدون عباس، ن. 1985م: 169). وجعل الإبل تحدق بمعسكره حتّى إذا احتدم القتال في معركة ما سيقت للحرب فتدخل الرعب في قلب العدو، واتخذ الطبول والبنود، وجعل على رأس كلّ فرقة قائد عسكري محنّك (المريني، ع. 1997م: 25).

لم يكن من السّهل على يوسف أن يحتفظ بثمار النّصر الذي حققه بعد فتح المغرب، فكان عليه أن ينّظم تلك الطّاقة العظيمة، ويسخرها في معركة الجهاد بحنكة (حسن أحمد محمود. د ت: 376)، لذلك فقد وسّع دائرة التجنيد بإشراك القبائل المغربية المهزومة من زناتة ومصمودة وغمارة، في الجيش، وأطلق عليهم اسم الحشم(مؤلف مجهول. 1979:

33)، واستطاع أن يؤلف بين هذه القبائل ويحببها في النّظام الجديد (حسن أحمد محمود. د ت: 377)، كما أنّه ضم إلى جيشه وحرسه، عددا مهمّا من العبيد، بلغ نحو ألفين، وبعث إلى الأندلس فاشترى عددا كبيرا من العلوج أو الأرقاء النّصارى، وأنشأ منهم فرقة قويّة من الفرسان (عنان، م. 1997: 310)، واستطاع يوسف بن تاشفين أن يجعل من هذا الجيش قوّة موحدة ومتكاملة تتكوّن من طوائف متعددّة متعلقة بمشروع الجهاد تحت قيادة يوسف بن تاشفين.

2.3) التعاون العسكري في إدارة المعارك

أ) التخطيط المزدوج لمواجهة النّصارى

لقد وجّه العامل الجغرافي طاقات المرابطين بعدما أطلّت دولتهم على شواطئ البحر المتوسط التي كانت تتعرض لغارات الفرنجة، فقد سعى ألفونسو السادس إلى احتلال شبه الجزيرة الأيبيرية، وطرد المسلمين منها، وقد تمكنّ بعد مدّة من احتلال طليطلة 478ه/1085م، ولم يكن ملوك الطوائف قادرين آنذاك على مواجهة النّصارى، فاستنصروا بالمرابطين وبقائدهم يوسف بن تاشفين.

أصبحت مواجهة المرابطين لنصارى الأندلس أمرا استراتيجيا وضروريا، فقد استمر اتصال يوسف بن تاشفين بملوك الطوائف أكثر من أربع سنوات من أجل إنقاذهم، وكان يوسف في تلك الأثناء على القيام بذلك، فقد أصبح يتوفر على جيش ضخم متحمس للجهاد، لكنّه برغم ذلك لم يقرر التّدخل في شؤون الأندلس إلاّ بعد أن درس أحوال الأندلس، وأحوال أمرائها، فتأكدّ له ضرورة الاعتماد على أهل الأندلس لإنجاح تدخله في الأندلس، ومن أبرز من اعتمد عليه أمير المرابطين خلال هذه الفترة كاتبه ووزيره الأندلسي عبد الرحمان بن أسباط الذي كان على دراية بأحوال الأندلس وخباياها، فنصحه بأن يتسلم الجزيرة الخضراء لكي تكون آمنة لعبور الجيش ولحماية خطوط التموين (مؤلف مجهول. 1979م: 49)، وهذا في اعتقادنا أوّل عمل عسكري مهم قام به يوسف ليضمن النّجاح في

معركة الأندلس، ويدّل ذلك على قيمة الأعمال التي قام بها الأندلسيون وسيقومون بها بعد ذلك لنجاح مهمّة المرابطين، كما يثبت على أنّ المعركة القادمة في الأندلس معركة مشتركة بين المرابطين والأندلسيين.

كان فقهاء الأندلس أبرز من اعتمد عليهم يوسف بن تاشفين في تهيئة العقول الأندلسية لقبول فكرة الاستنجاد بالمرابطين (حسن أحمد محمود. د ت: 261)، فقد اجتمع شيوخ قرطبة وزعمائها للتشاور حول إنقاذ الأندلس من الخطر النّصراني، ورأوا ضرورة الاتصال بالمرابطين، واستدعاء الأمير يوسف بن تاشفين لإنقاذهم، وفوّضوا قاضي قرطبة عبيد الله بن أدهم ت486هـ/1093م، للقيام بالمهمّة كما تواترت وفود الأندلسين ورسائلهم على يوسف بن تاشفين وشكوا إليه ماحلّ بهم من أعدائهم، مناشدين يوسف بن تاشفين التدخل لإنقاذهم، فوعدهم بالمدد والعون (ابن خلدون، ع. 2000: 248)، وباختصار فإنّ ما قام به الفقهاء حرّك الجميع من أجل الاستعداد للمقاومة بما في ذلك ملوك الطوائف (سعدون عباس، ن. 1985م: 67).

استنفر يوسف سائر قواته للجهاد (سعدون عباس، ن. 1985م: 74)، بعد فتح سبتة، فأصلح المرافئ، وحشد السفن وأصدر أوامره بالعبور بقواته إلى الأندلس (سعدون عباس، ن. 1985م: 74)، فعبر البحر بعسكر ضخم (عبد الواحد المراكشي. 1963: 191) إلى ثغر الجزيرة الخضراء، واحتلته وفقا لما تمّ الاتفاق عليه، ثم توالى عبور بقية الجيوش المرابطية تباعا، حتّى تمّ عبور كامل القوّات إلى شبه الجزيرة، وفي منتصف ربيع الأوّل سنة 479ه/1086 عبر يوسف بن تاشفين في بقية قواته، فنزل بالجزيرة الخضراء واستقبله سكانها بالترحاب، وتوافد المتطوعون للجهاد (سعدون عباس، ن. 1985م: 75).

بعد وصول يوسف إلى الجزيرة الخضراء تبدأ مرحلة عسكرية جديدة اقتضت مواجهة جيش النصارى القويّ، في أرض وظروف مختلفة، واستلزمت إشراك أهل الدار من الأندلسيين في المعركة لما لهم من خبرة ودراية بمعطيات الأرض والعدوّ، فأصبح من

المنطقي أن يلتقي الأندلسيون والمرابطون في جيش واحد يواجه النّصارى، كما أصبح من الضروري أن تبنى الخطط العسكرية على هذا المعطى الجديد.

اشتهر نصارى الأندلس بأنّهم محاربون أشداء ومهرة، تفوّقوا على ملوك الطوائف، وسيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية، فكيف يستطيع الملثمون أن يلاقوا هذا العدو الذي تفوق عليهم في العدد والعدّة دون أن ينظموا صفوفهم، لهذا كان ينتظر يوسف بن تاشفين عمل جبّار في مواجهة هذا الجيش النصراني (حسن أحمد محمود. د ت: 388-389).

كان لزاما على يوسف إذا أراد النجاح في مواجهة النّصارى ودحرهم أن يكون على دراية بما يحيط به سواءا من خلال معرفة أخبار العدوّ أو التّعرف على المسالك التي يجب أن يتبعها تجنبا للعدّو، وكان الأندلسيون أحسن من يقوم بهذه المهام، لذلك فإنّنا نجد المعتمد بن عباد هو الذي قاد عمليّة إذكاء العيون لصالح المرابطين حينما رأى منهم عدم درايتهم بهذه العملية الهامّة في الحياة العسكرية (محمد عبد العزيز، ع. د ت: 90)، فقبل الإشتباك في معركة الزلاقة بعث المعتمد ابن عباد بجواسيسه داخل محلات النّصارى الذين رجعوا إليه بأخبار هامّة كان لها اعتبارها في رسم الخطّة التي سيواحه بها المسلمون النصارى حيث قالوا له : "استرقنا السمع فسمعنا الأنفونش يقول لأصحابه: ابن عياد سعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويين، وإن كانوا اهل حفاظ، وذوي بصائر في الحروب، فهم غير عارفين بهذه البلاد، وإنّما قادهم ابن عياد، فاقصدوه واهجموا عليه، واصبروا فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن قصدتموه الحملة" (المقري. 1988: 529).

وعلى الفور بعث ابن عباد الكاتب "أبا بكر بن القصيرة" إلى يوسف بن تاشفين يعرفه بذلك، فقام يوسف برسم خطته للمعركة على هذه المعلومات التي جمعها المعتمد بن عياد، فترك يوسف بن تاشفين هذا الأخير يتحمّل الصدمة الأولى في الوقت الذي أرسل فيه ببعض قوّاته إلى محلّة النّصارى لتضرمها نارا (المقري. 1988: 529)، ويتضح من خلال

ذلك أنّ العسكرية الأندلسية قد تفوقت في عملية اذكاء العيون والعسس، حيث استفاد الجيش المرابطي من هذه التقنية العسكرية فأصبح منذ ذلك الحين يتقدم الجيش عادة عيون وجواسيس، وجماعة من الأدّلاء لإرشاده إلى المسالك والطرقات الصحيحة، وكان يختار لهذه المهمّة الرجال الموثوق بأمانتهم (عبد المنعم، ح. 1997م: 304)، ومن البديهي أن يكون هؤلاء من الأندلسيين .

ب) مشاركة الأندلسيين للمرابطين في انتصار الزلاقة

لم تكن معركة الأندلس معركة المرابطين وحدهم بل كانت معركة الجميع، إذ سعى يوسف إلى حشد القوات الإسلامية لمجابهة العدو يدا واحدة، ويبدوا أنّ هذا الهدف قد لقي النّجاح منذ اللّحظة الأولى إذ كان لقدوم المرابطين مفعول (حسن أحمد محمود. د ت: 269) السحر في نفوس النّاس، خصوصا بعد أن بدأت قواته تتجه نحو اشبيلية، بقيادة أبي سليمان داود بن عائشة،فما كادت قواته تقترب من هذه المدينة حتّى خفت جموع النّاس من سائر الجهات متطوعين للمشاركة في الجهاد، وانضمت إليه قوات ملوك الطوائف، حتى لم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلاّ من بادر وأعان وخرج وأخرج، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وبدأت وفود المتطوعة من سائر الأقطار تفد إلى اشبيلية (حسن أحمد محمود. د ت: 270).

وسار الجيش المرابطي بقيادة يوسف بن تاشفين مع الجيش الأندلسي نحو بطليوس، وفي سهل الزلاقة نظمّ يوسف جيشه، فجعل الأندلسيين جيشا قائما بذاته أسندت قيادته إلى المعتمد بن عباد والذي تولّى المقدمة، وعيّن المتوكل بن الأفطس على الميمنة، وأهل الشرق على الميسرة وحشد سائر أهل الأندلس في الساقة، أمّا الجيش المرابطي فقد تولّى قيادته فرسانه داود بن عائشة و الحشم سير بن أبي بكر وبقية المرابطين مع الحرس الأمير يوسف بن تاشفين، وعسكر المرابطون خلف الأندلسيين تفصل بينهم ربوة بقصد التمويه (سعدون عباس ن. 1985م: 80-81).

لم يجد يوسف بدّا من جعل القوات معسكرين: معسكر الأندلسيين في ناحية، ومعسكر الصحراويين في ناحية أخرى حتّى لا يختلط المعسكران. إنّ تقسيم يوسف بن تاشفين للجيش إلى معسكرين لا يعني تماما أن يقاتل كل فريق لوحده، بل يمكن اعتباره جيشا واحدا لأنّ قيادته كانت بيد قائد واحد هو الأمير يوسف بن تاشفين، كما أنّه لا يمكن لأي جيش أن يحقق نجاحا دون ترتيب وتخطيط مسبق ولعلّ هذا التّقسيم ارتبط باستراتيجية المرابطين في القتال التي تعتمد على عدم الحاق خسائر كبيرة بقبيلة لمتونة لأنّها تمثل القيادة ولأنّها كانت تريد المحافظة على وحدة الصف ولم الشّمل ببقاء عدد أكبر منها يقود المعارك، وهو أمر منطقي.

أمّا بعد انطلاق معركة الزلاقة فصحيح أنّ الأندلسيين لم يبلوا البلاء الحسن، فقد هزموا لأوّل لقاء، وفرّوا هاربين للاعتصام بأسوار بطليوس (سعدون عباس، ن. 1985م: 88-89)، تاركين المرابطين في الميدان وحدهم يصطلون بنار القتال (حسن أحمد محمود. د ت: 276)، لكن ذلك ينطبق على عدد معيّن من الأندلسيين فالمعتمد مثلا اضطلع بأعباء المعركة، ودوره كان مهمّا في انتصار المرابطين فكان يعرف مكائد الفرنجة وحيلهم، واستطاع أن يتنبأ بأنّ يوم الجمعة هو يوم شن ألفونسو الحرب على المسلمين، وكشف مكر ألفونسو الذي حدّد في رسالة بعثها إلى الأمير المرابطي يوم الإثنين لبدء المعركة (الحميري، ع. 1975: 290) (السلاوي، ن. 1954: 41) ، كما أنّه كان يبث العيون لترقب حركات العدو واستطاع الصّمود أمام الضّربات الأولى للنّصارى، وأصيب أثناءها بجراح بليغة (الحميري، ع. 1975م: 291) (السلاوي، ن. 1954: 42)، كما كان يوسف يرقب حركات العدو بعين القائد المحنك الذي حنكته وقائع الصحراء، وصهرته معارك المغرب، لذلك لم يكن تراجع الأندلسيين ليهبط من همّة المرابطين فسار يوسف بنفسه على رأس جيش لمتونة، وضرب عساكر ألفونسو من الخلف، فاستولى على معسكر النّصارى، وأضرم فيه النار، وما كاد أهل الأندلس يعلمون بذلك حتى انقلبوا من الفرار إلى الهجوم، وأطبقوا على النّصارى من الخلف (حسن أحمد محمود. د ت: 277، 278)، واستطاعوا

بعدها استكمال المعركة نحو النّصر.

أثبث المرابطون من خلال معركة الزلاقة قدرتهم على القيام بما لم يستطع ملوك الطوائف القيام به، فقد كانوا يتعرضون إلى حروب الاسترداد التي شنها نصارى اسبانيا وكان العالم المسيحي كلّه يدعم هذه الحرب، أمّا جيش المرابطين فكان وحده في الساحة ولا يتلقى المعونة من الخلافة العباسية، وكان الجنود المرابطين هم الذين يتوّلون الجزء الأكبر من ثقل الحرب، في حين كانت المساهمة الأندلسية ذات طابع تكميلي مهمّ في حسم المعركة (زنيبر. د ت: 90).

4) توحيد فنون القتال المغربية والأندلسية

1.4) تباين طرق القتال المرابطية والأندلسية

لاشك أنّ تلاقي الجيشين المرابطي والأندلسي، واشتراكهما في معركة واحدة (الزلاقة) قد كشف لكل طرف عن ما يمتلكه من قدرات عسكرية، وفنون قتالية، فمهما تراجع الجيش الأندلسي في عهد ملوك الطوائف فإنّ ذلك لا يعني عدم توفره على قدرات عسكرية، وإنّما كان تراجعه بسب تفرقه إلى مجموعة جيوش، وافتقاده إلى الروح القتالية، أمّا جيش المرابطين فقد أتبث من خلال المعارك التي قادها ببلاد المغرب امتلاكه لروح قتالية عالية توفرت في بربر بلاد المغرب بشكل عام، إضافة إلى مقومات عسكرية عالية.

كانت تقاليد ملوك الطوائف في القتال تكاد تكون هي نفسها عند النصارى من الاعتماد على القلاع الحصينة، واتقان فن الحصار، والإعتماد على الشجاعة الفردية، وعلى فرق من الخيّالة الثقيلة المسلحة بالزرد والدروع والسيوف (حسن أحمد محمود. د ت: 387)، أمّا المرابطون فلم يغيّروا شيئا من فنون قتالهم أثناء خوضهم معركة الزلاقة بالأندلس فاستخدموا نفس وسائل وأساليب القتال التي اعتمدوها في بلاد المغرب، غير أنّ هذه الوسائل كانت بالنسبة للأندلسيين وأعدائهم النّصارى بمثابة فنون قتالية جديدة لم يعتادوا عليها.

ففي الزلاقة كانت جيوش المرابطين تستعين بلون من الفن البدوي في القتال، فكانوا يعتمدون على الإبل (حسن أحمد محمود. د ت: 279) التي نقل منها المرابطون أعدادا غفيرة إلى الأندلس بلغت حوالي 500 ناقة (المريني، ع. 1997: 29)استغلت بمثابة درع يتقدم القوّات المهاجمة، لحماية الجنود من سهام الأعداء، من خلال صفوفها فيكرون على فرسان الأعداء ثم يعودون ليستّتروا بها، فيقع العبء في صفوف الأعداء، فتجمح خيلهم، وتضطرب فرسانهم (زغروت، ف. 2005: 111– 112)، ولم يكن أهل الجزيرة قد رأوا جمالا قط، ولا خيلهم ألفت رؤيتها، فصارت الخيل تجنح من رؤية هذه الجمال وتفزع لرغائها (السلاوي، ن. 1954: 37–38) (زغروت، ف. 2005: 111)، فكانت بحق سلاحا فتّاكا ومهمّا استغله المرابطون لحسم المعركة.

كما ظلّ المرابطون يستعينون بطبول هائلة تذق دقا فتهتز لها الأرض وترتعد لها فرائص الفرسان هولا، فتصم أذانهم بدويها المزعج (مؤلف مجهول. 1979م: 60) (حسن أحمد محمود. د ت: 280)، ولايعرف بالضبط مصدر هذه الطبول، ومن المحتمل أن يكون المرابطون قد استمدوه من الدّول الزنجية، ولم يسبق أن اعتاد أهل الأندلس على رؤية استخدام مثل هذه الطبول الكبيرة في معارك شبه الجزيرة (حسن أحمد محمود. د ت: 280–283).

2.4) استفادة المرابطين من الخبرة الأندلسية

لقد حرص المرابطون أثناء تواجدهم بالأندلس على الاستفادة قدر الامكان من المقومات العسكرية الأندلسية، فقد واصلوا القيام باستطلاع أخبار العدّو لما لها من قيمة كبيرة في رسم الخطط الحربية، والطريف في الأمر أنّ يوسف استخدم "فن التّجسس" ضدّ من علّمه إيّاه وهو المعتمد بن عباد، فحينما عزم الأمير المرابطي على القضاء على ملوك الطوائف، أراد أن يتعرف على ظروف جبهتهم الحربية وأسرارهم العسكرية فبعث بعيونه إلى المعتمد محاولا سبر نواياه (عبد الواحد المراكشي. 1963م: 199– 200).

كما استطاع المرابطون استقطاب أعداد كبيرة من القادة والجند الذين عملوا في جيوش ملوك الطوائف بعد انتهاء ملكهم، ومنذ ذلك الحين أصبحت فرق الأندلس قسما هائلا من أقسام الجيش المرابطي لها مكانتها وأعلامها المميزة لها عن سائر جند المغرب (زغروت، ف. 2005: 110).

استمر إسهام الأندلسيين في تطوير الجيش المرابطي خلال الفترات اللّاحقة، حيث نصح الكاتب ابن الصيرفي الأمير تاشفين بن علي باتباع بعض فنون القتال والحرب، تتضمن دعوة الأمير إلى حفر الحفير، والاستعداد للمعركة، وتقوية جناحي الجيش والمقدمة، وضرورة تواجد قائد الجيش في القلب، كما نصحه بضرورة الاعتماد على الكمائن، وعلى المفاجأة، خاصّة في بداية المعركة، وحماية المؤخرة خاصّة بالابتعاد عن القتال وظهورهم إلى الماء (مؤلف مجهول. 1979: 124) (حمدي عبد المنعم. 1997م: 300-301) (المريني، ع، 1997: 26، 28).

وبرغم براعة المرابطين الحربية فإنّهم لم يتقنوا فنّ الحصار (حسن أحمد محمود. د ت: 390) (حمدي عبد المنعم. 1997م: 302)، ولكنّهم أتقنوه بعد إخفاقهم في معركة لييط (حسن أحمد محمود. د ت: 390)، وظهر ذلك خلال نجاحهم في حصارهم لقلعة شنترين (حمدي عبد المنعم. 1997م: 302)، أحصن معاقل النّصارى وأقواها على المسلمين (حمادة. 1986: 300)، واستيلائهم عليها (حسن أحمد محمود. د ت: 391)، كما أظهروا براعتهم في هذا الفن أثناء الحصار الذي فرضوه على مدينة غرناطة لحمايتها من غزوات النّصارى (ابن الخطيب. 1973: 110) (حمدي عبد المنعم. 1997م: 302)، واستعان المرابطون بهذا الفن أثناء حصارهم لمدينة طليطلة سنة 503ه/1109م في عهد "علي بن يوسف" في عبوره الثاني للأندلس للجهاد بها، ولكنهم فشلوا أمام حصانة أسوارها، فرفعوا الحصار عنها بعدما نجح النصارى في إحراق آلات حصارهم الثّقيلة (مؤلف مجهول. 1979م: 85-86)، ولاشك أنّ تعلمهم لهذا الفن كان على يد الأندلسيين، فقد كان المرابطون يعهدون للأندلسيين الدفاع عن الحصون المتاخمة للنّصارى لما لهم من خبرة خاصّة في

مقاتلة الممالك النّصرانية (دندش، ع. 1988م: 143).

كما برع المرابطون بفن الحصار فقد برعوا كذلك في بناء الحصون والأبراج والأسوار فيذكر صاحب الحلل الموشية: "أن يوسف بن تاشفين شرع في بناء الأسوار ورمّ ما تقوّض من الأبراج وحفر الحفير (بن عبد الله، ع. 1963: 92) وشحنها بالأسلحة ورتّب فيها عسكرا من نخبة رجاله وأسكنهم بها (حسن أحمد محمود. د ت: 396)، وقد عمّم المرابطون هذا النظام في الأندلس وبلاد المغرب، وأقام يوسف بن تاشفين وأمراء المرابطين من بعده عددا من القلاع والحصون الجبلية، عدّ "البيدق" منها أكثر من عشرين حصنا (البيدق. د ت: 90- 93) ويمكننا أن نقول أنّ يوسف بن تاشفين هو أوّل من وضع أسس هذا النظام الفني في خطط الدفاع المرابطية (حسن أحمد محمود. د ت: 396)، المستوحاة من التّقاليد البدوية، فالبدو إذا استقروا في مكان وضعوا معسكرا يضعون فيه دوابهم وأثقالهم، ثمّ يحصنوه ويحرسوه، مخافة النّهب والغدر (حسن أحمد محمود. د ت: 397)، غير أنّ اتقان هذا الفن ارتبط باستعانة المرابطين بالأندلسين، حيث استعان علي بن يوسف ببعض الأندلسيين في إقامة سلسلة أخرى من القلاع الحصينة خوفا من خطر الموحدين (ابن القطان. د ت: 150-151)، فقد عرف عن مسلمي الأندلس بصفة عامة براعتهم في بناء القلاع والحصون، لذلك فإنّ أكثر المدن الأندلسية عبارة عن قلاع دفاعية (محمد عبد العزيز، عادل. د ت: 91).

3.4) مزج طرق القتال المرابطية الأندلسية

بعد احتكاك المرابطين والأندلسيين في معارك واحدة، لم يغير يوسف تقاليد القتال وإنّما عمد إلى التجديد، فأصبح ترتيب المعركة يقوم على أساس نظام خماسي، أي المقدمة والمؤخرة والقلب والميمنة والميسرة، فكانت المقدمة تتألف من الجند المشاة من الحشم، أمّا الجناحان فقد كانا يتألفان من وحدات الفرسان الخفيفة وحملة النّبال من أهل الثغور، أمّا القلب فقد كان يتألف من وحدات الفرسان الثقيلة يقودها القائد العام للجيش، أمّا المؤخرة أو

الساق، فقد كانت توجد بها القوّة الاحتياطية ، وكان لكلّ قسم من هذه الأقسام الخمسة قائد خاص (حمدي عبد المنعم. 1997م: 299– 300)، أمّا بالنسبة لموقع الأندلسيين بالنسبة لهذا التنظيم الجديد فيلاحظ أنّ المرابطين اعتمدوا عليهم في مواقع مختلفة فتارة يحشدون في مقدمة الجيش، لأنّهم أعلم بمسالك بلاد الأندلس وأدرى من المرابطين بأساليب قتال النّصارى، وأحيانا يحشدون في القلب يحفون بقائد الجيش(زغروت، ف. 2005: 110)، وفي بعض الحالات في المؤخرة وهو موقع مهم،كان يتواجد به عادة أمير المسلمين إذا كان مصاحبا للجيش، وهو ما يؤكد الدّور الاستشاري لهذه الفرقة من الجيش المرابطي.

أمّا فيما يتعلق بأسلحة المرابطين فكانت أسلحة بدوية، يعتمدون فيها على الإبل اعتمادا كبيرا، ولايكثرون من الخيل، لكنّهم برغم ذلك اعتمدوا عليه خاصّة في المناطق الجبلية والهضبية، لذلك عمل يوسف بن تاشفين على الاكثار من الخيل، وكوّن فرقا من الفرسان، ودربهم على هذا اللّون من القتال، واعتمد على الفرسان الزناتيين الذين كانت لهم شهرة في فنون القتال، لكن يوسف لم يغفل من أهمية الإبل، لأنّها تدخل الرعب في قلوب معسكره (حسن أحمد محمود. د ت: 382)، ومع أن المرابطين توسعوا في ضم طائفة الفرسان إلاّ أنّ يوسف أبقى على نظام الأبّلة حيث كان يستعين بهم في معارك الأندلس، فكان يتخذ منها صفوفا أشبه بالسّياج تحدق بمعسكره وتحف به (زغروت، ف. 2005: 111)، كما استخدمت الإبل كذلك في حمل الأقوات والخيام وراء الجيش ثم يتبعها الرعاة وهم يقودون قطعان الماشية من كل صنف (زغروت، ف. 2005: 59).

وكانت جميع الفرق تقاتل على الطريقة البدوية، فتقديم فرق الحشم في القتال يتفق مع التّقاليد القبلية إلى حد بعيد (حسن أحمد محمود. د ت: 100)، كما قسم الجيش المرابطي تقسيما قبليا محضا، بمعنى أن تؤلف الفرق من أفراد القبيلة الواحدة، حتىّ تتآلف قلوبهم، لكنّهم كانوا يقاتلون وفق نظام واحد، وقد وصف لنا الطرطوشي (ت 520 هـ/1126م) وهو المعاصر للفترة الأولى للمرابطين فن القتال في الأندلس (حسن أحمد محمود. د ت: 387)، ويتبن من خلاله أنّ المرابطين قد نقلوا عددا من طرق القتال التي عرفها

الأندلسيون، حيث يقول: "فأما صفة اللقاء، وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا وهو أرجى تدبير نفعله في لقاء عدونا أن تقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض وصدورهم شارعة إلى عدوهم وهم جاثمون في الأرض، وكلّ رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى، وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة. فإذا حملت الروم على المسلمين، لم يتزحزح الرجالة عن هيئاتهم، ولايقوم رجل منهم على قدميه فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرة فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ماشاء الله، ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلد طرطوش قال : صافقنا الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا رجل منّا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدّو فأصاب من العدو غرته فقتل" (الطرطوشي. د ت: 179) (حمدي عبد المنعم. 1997: 299).

الخاتمة:

إنّ اشتراك جيش بلاد المغرب والأندلس في معارك واحدة ضدّ عدو واحد دفع بالمرابطن إلى إنشاء جيش موحد، ونتيجة لذلك قام الأمراء المرابطين بالمزاوجة بين الأسلحة الأندلسية وأسلحة بلاد المغرب، كما تمّ خلق جيش يزاوج بين أساليب المرابطين في القتال وطرق الأندلسيين في المعركة، فانعكس ذلك على سير المعارك التي تحقق فيها النّصر في كثير من الأحيان. وبذلك يمكن القول أنّ استفادة المرابطين من التجربة الحربية للأندلسيين كانت كبيرة، كما أفاد المرابطون بلاد الأندلس بفنونهم الحربية التي كانت حاسمة في معظم المعارك.

بيبلوغرافيا:

– ابن أبي زرع، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر.

– ابن القطان، (د ت)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، (تح: محمد علي مكي) تطوان: المطبعة المهدية.

– ابن حزم، (1982)، جمهرة أنساب العرب، (الطبعة 5)، (تحقيق : عبد السلام محمد هارون) القاهرة: دار المعارف.

– ابن حيان، (1994)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، (تح: محمود علي مكي) بيروت: دار الكتاب العربي.

– ابن خلكان، (د ت)، وفيات الأعيان، (المجلد ج1)، (تح: إحسان عباس) بيروت: دار صادر.

– ابن سعيد، (1980)، المُغرب في حلى المغرب (المجلد ج2)، (تح: شوقي ضيف) القاهرة: دار المعارف.

– ابن عذارى، المراكشي، (1983)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (الطبعة3، المجلد 3، 4). (تح: ج–إحسان عباس) بيروت: دار الثقافة.

– أبو عبيد، البكري، (د ت). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

– أحمد بن محمد، المقري، (1988)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (المجلد 3)، (تح: إحسان عباس) بيروت: دار صادر.

– أحمد محمود، حسن، (د ت)، قيّام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة: دار الفكر العربي.

– البيدق، (د ت)، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

– الناصري، السلاوي، (1954)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (المجلد 2)، (تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري) الدار البيضاء: دار الكتاب.

– حسين، بولقطيب، (2002)، جوائع وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة.

– حسين، حمدي عبد المنعم، (1990)، دراسات في التّاريخ السياسي الأندلسي، دولة بني برزال في قرمونة 404هـ–459هـ/1013م–1067م، الاسكندرية، مصر: مطبعة مؤسسة شباب الجامعة.

– دندش، عصمت عبد اللطيف، (1988)، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (الطبعة2)، بيروت: دار الغرب الاسلامي.

– السيد عبد العزيز، سالم، (د ت)، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة)، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

– سليمان بن داود، (1999)، دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس، من كتاب حلقات من تايخ المغرب الإسلامي، 'محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي'، الجزائر: مطبعة أبوداود.

– عبد الحق المريني، (1997)، الجيش المغربي عبر التاريخ، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

– ابن خلدون، عبد الرحمان (2000)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المجلد 4، 6)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

– بن عبد الله، عبد العزيز (1963)، معطيات الحضارة المغربية (الطبعة3، المجلد 1)، الرباط: دار الكتب العلمية.

– فيلالي، عبد العزيز، (1999م)، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الأندلس ودول المغرب (الطبعة2)، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.

– بلكين، عبد الله (د ت)،كتاب التبيان، (تح : ليفي بروفنسال) مصر: دار المعارف.

– الحميري، عبد المنعم. (1975)، الروض المعطار في خبر الأقطار (الطبعة2)، (تح: إحسان عباس) بيروت: دار صادر.

– المراكشي، عبد الواحد، (1963)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس، (تح: محمد سعيد العريان) القاهرة: المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية.

– الكتاني، علي المنتصر، (2005)، إنبعاث الاسلام في الأندلس، (الطبعة2)، بيروت: دار الكتب العلمية.

– زغروت، فتحي، (2005)، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين(المغرب والأندلس) (الطبعة1)، القاهرة: دار التوزيع الاسلامية.

– محمد أرزقي، فراد، (1991)، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن 05هـ /11م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

– ابن الخطيب، لسان الدين، (1956)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، (تحقيق ا– ليفي بروفنسال، المحرر) بيروت: دار المكشوف.

– ابن الخطيب، لسان الدين (1973)، الإحاطة في أخبار غرناطة (طبعة2، المجلد1)، (تح: محمد عبد الله عنان) القاهرة: مكتبة الخانجي.

– زنيبر، محمد (د ت)، المرابطون وجوه وآثار، (المحرر: محمد المغراوي)، المغرب في العصر الوسيط، الدولة– المدينة– الاقتصاد، الدار البيضاء، المغرب: مطبعة النّجاح الجديدة، ص.ص63–92.

– عنان، محمد عبد الله (1997)، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها إلى الفتح المرابطي (المجلد 2، 3)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

– الطويل، مريم قاسم (1994)، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(403–483هـ/1012–1090م) (الطبعة1)، بيروت: دار الكتب العلمية.

– مؤلف مجهول، (1979)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (الطبعة1)، (تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة)، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.

– مؤلف مجهول، (2005)، مفاخر البربر (الإصدار ط1)، (دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية) الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.